

مدن العشيق المتسعة

(يقال ان المدن تشبه النساء فى ضجيجها

وسرعة ايقاعها وتنوع الحياة فيها.. كذلك

فان النساء تشبهن المدن فى بهجتها ومتعتها..

وكذلك فى تقلب احوالهن..وهكذا يمكن القول:

إن المدينة امرأة ، والمرأة مدينة)

المدينة الأولى :

كانت طرقاتها الضيقة

بالنسبة إلينا - نحن الأطفال -

ممتدة كالبحر ..

وعالية كالسمااء ..

وكانت شرفاتها

تمتلئ بضوء القمر المكتمل

وتنسدل منها علينا

ضفائر اللباب ، وزهور البنفسج

كانت الحياة فيها بسيطة

واللمسات الإنسانية متعددة°

وعلى أرضها الطيبة

تشابكت أولى نظرات الحب

ذلك الحب الذى يختصر النهار فى أغنيهِ°

ويزحم الليل بأحلام جميلة متواصله..

عندما غادرت تلك المدينه

كنت عاجزا تماما عن العودة إليها

سمعتُ أنها أغلقت الباب خلفى ..

وكم تمزقتُ بشدة ،

عندما علمتُ

أنها استقبلت فى شرفتها العالميه°

أول زائر بعدى !

المدينة الثانية

كانت مدينة رائعة

المدخل، والميادين،

والسماء التي تنبسط فوقها..

خضرة أشجارها

كانت أقوى من خضرة كل الأشجار الأخرى

سمحت لي بالجلوس في ظلها ،

لساعات محدودة !

أحسست براحة لا مثيل لها

كنت أحلم وأنا متيقظ

وأرى ثمارها تتساقط من حولي

لكنني لم أجرو أن ألمس واحدة منها ..

----

مر الوقت فيها سريعا

وحين غادرتها

كنت أدرك جيدا

أنها من المدن

التي لا يراها الإنسان في حياته

سوى مرة واحدة

ومع ذلك

ظلت تعيش معي

لسنوات طويلة وقاحله !

المدينة الثالثة :

دخلتها وهى تحتفل بكرنفال الربيع°

كانت المشوارع مليئة بالمهرجانات

وآلاف المعصافير تزقزق فى الهواء

وجدتني أندفع مع الجموع السعيدة

أسير فى صفوفهم

وأصفق كثيرا لهم

وعندما انتهى المهرجان عند الفجر

استغرقتُ فى نوم عميق

لم أحلم فيه بشيء ..

كنت سعيداً بوجودي فى تلك المدينة°

وارتبطت طويلا بمعالمها الواضحة°

وطرقاتها المتعرجة°

التي كانت تؤدي كلها إلى النهر ..

المدينة الرابعة

كانت مدينة معلقه

كحدائق بابل ..

ما أصعب الوصول إليها !!

ومع ذلك فقد تابرت ،



وظللت أمشي في الصيف والشتاء

حتى ارتميت بجانب أسوارها

وفي لحظة مفاجئة

وجدتها تضعني على صدرها

----

قالت لي :

- لو لما صفاء قلبك

ما سمحت لك بالدخول

وقالت :

- إذا لم يستمر إخلاصك

فسوف أطردهك بلا رحمة

وقالت :

-أنا أمنحك هذا القصر

الذى لم يدخله أحد قبلك ..

كانت صادقة فى كل ما قالته

لكننى كنت أضعف من أن أتحمل

كل تلك العهود !

المدينة الخامسة

كان الجميع

يتمنى أن يزورها

كانوا يحاولون مرارا ويخفقون

وعندما حاولت لأول مرة

وجدتني أتمشى في أكبر ميادينها

وأجلس بجانب نافورتها

التي يتناثر منها الماء ،

وتتلاألأ حولها الأضواء

كانت مدينة صاخبة

تعطى زائرها بلا حدود

ولما تنتظر منه شيئا ..

فقط .. كان لها شرط واحد

أن يؤنس وحدتها عند الليل

وفى الساعات المتى ينتابها أرق شديد

كانت مدينة متفردة تبهر بمعالمها العيون

وهي تبكى من الداخل

كنت أتمنى أن أمكث فيها طويلا..

لكننى كنت حزيناً مثلها !

مدينة صغيرة

تقع على طريق سريع

لكنها كانت متحفظة

لم تدع أحداً يقترب من بابها ..

ومع ذلك ، فقد جذبنى سحرها الحزين

لذلك غمرتني سعادة بالغه

حين ابتسمت لي ،

ثم فتحت ذراعيها ، وضمتني

كان كل ما فيها رائعاً :

المشوارع ، والميادين ، والمحدائق ،

والمتحف الذي لم يكن يزوره أحد

وجدت فيه كنوزا من الماضي المسحوق ،

وروائع من الفن الحديث

عندما سألتها :

-لماذا لنا تعرضين ذلك على الناس ؟

اجابت

- يكفيني أنك فقط تشاهدها !

ثم سألتني :

- هل أعجبتك ؟

لم أستطع أن أرد

كنت مشبعا من السعادة الغامرة !

المدينة السابعة

هي التي دعنتى لزيارتها

كانت مثل المدينة الفاضله !

كل شيء فيها مرتب ومنتظم

إشارات المرور تعمل بدقه

أما مواعيد العمل والراحه

فكلها مراعاةً بالساعة والدقيقه°

حاولت أن أنفذ إلى قلبها ..

إلى روحها ..

لم تسمح أبداً في البداية

لكنها بعد وقت طويل

كشفت لي عن سرها

ثم أضافت :

- فقط لساعات محدوده°

----

أدهشتني أنها تمتلك الكثير

ومع ذلك تبدو فقيره°



كان أشد ما يعجبني فيها

ذلك المصمت النبيل الذي تتحلى به

وخاصة ، عندما انظر إليها

من قمة الجبل

الذي يطل على جهاتها الأربع !

المدينة الثامنة

توقعت فى البداية

أنها مدينة منعزلة

لا يدخلها أحد

وعندما زرتها

بكت بشدة من قلة زوارها ..

أصبحت أسيرا لديها

وصرت معتادا على الجلوس

فى مقاهيها ، ومطاعمها

كنت أحاول أن أقدم لها

ما تفتقده من المزاثرين الآخرين ..

حتى أننى أجهدت نفسى فى خدمتها

----

و ذات يوم صائف

وبينما أنا بين النائم والميقظان

وجدتها تستقبل وضودا من المزارعين

كانت فى عينيها نفس المفرحة ،

التي استقبلتنى بها ..

غادرتها منهكا من الإرهاق

ولم أكن حزيناً أبدا

على فراقها !

المدينة التاسعة

قررت أن أزورها

مهما كانت تكاليف السفر والإقامة

ورحت أجمع عنها المعلومات اللازمة

وأخيراً تلفنتُ لها

جاء صوتها أجمل مما توقعت

قالت :

— مرحباً بك في فصل الشتاء

فهو عندنا أكثر هدوءاً

والجليد يغطى الجبال من حولنا

وعدتها بأن أفعل

لكننى كنت أنشد الدفء ..

دفء المدن الحاضنه

التي تغلق على قلبى المرتعش

حجرة مستديرة وتشعل فى مدفأتها النار !

صارت تحدثنى فى التليفون

وأنا أماطلها فى تحديد الموعد

لكننى لم أتوقف أبدا عن الإعجاب بها

يبدو أنها استراحت أيضا لذلك ..

وأصبحت هى المدينة الوحيدة

التي عشقتها ..

ولم أزرها مطلقاً !!